المبحث الثامن

الإعجاز اللغوي

المبحث الثامن

الإعجاز اللغوي

تعريف الإعجاز اللغوي:

الإعجاز لغة:

مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز[1].وكلام أهل اللغة في معناها يدور حول الضعف، وعدم القدرة على النهوض بالأمر، وكذلك القعود عمّا يجب فعله، قال: ابن منظور: (العجز: نقيض الحزم، والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة من العجز عدم القدرة) [2] ومقتضى آخر الكلام فيما ساقه صاحب اللسان أن العجز أعم من أن يكون ضعفا وانعدام قدرة،وإنما يمكن أن يعني ترك الأمر تسويفا، مما يفهم منه أن ما ترك في حيز القدرة عليه، لكن الباعث على تركه هو الكسل الحامل على التأجيل والتسويف، لكن لنا في أصالة معنى العجز في الدلالة على عدم القدرة، وأن ترك الفعل عجزاً إنما يكون لعدم القدرة عليه في الأصل.[3] في ذلك حديث رسول (ﷺ): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ) [4].

قال ابن حجر- رحمه الله تعالى- (إن الهم لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط)[5].

(1) يُنْظَرْ: المصباح المنير، 149.
(2) لسان العرب،99/1 مادة (عجز).
(3) يُنْظَرْ:عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، د. محمد راضي جبريل:87.
(4) صحيح البخاري: 88/6، كتاب الرقاق، بَاب التَّعَوُّذِ من عَذَابِ الْقَبْرِ،رقم الحديث(6003).
(5) يُنْظَرْ: فتح الباري 66/7.

فيمكن أنّ نقول: الجمع في الحديث بين الاستعاذة من كل من العجز والكسل فيه دلالة على تغاير المعنى فيهما، فالأول عدم القدرة، والثاني عدم النشاط والنهوض للأمر.

وعليه فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني، وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك (وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه) [1]إذا كان هذا معنى الإعجاز، فبإضافته إلى القرآن الكريم، ومنهما يكون مصطلح: (إعجاز القرآن) كما سبق بيانه يكون المراد: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي، ويكتمل بيان المراد بهذا المصطلح إذا عرفنا أن إعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب حقّ، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول (ﷺ). [2]

والإعجاز في الاصطلاح له تعريفات عدّة:

أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[3].

وقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: وإنما الإعجاز شيئان:

1 - ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدّة الإنسان واتصال عنايته.

(1) لسان العرب 54/6:مادة عجز.
(2) يُنْظَرْ:عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم :98.
(3) يُنْظَرْ: التعريفات :78، البيان في إعجاز القرآن ، 23-31.

2 - ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت[1] في قوانين البشر حين تتحدى إنساناً تأتي من خلال دراسة نقاط ضعفه، وهذا حتى في الحرب موجود فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: ((هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ وَلَتُقْسَمَنَّ كنوزهما في سَبِيلِ اللَّهِ وَسَمَّى الْحَرْبَ خَدْعَة) [2].

أما الله سبحانه وتعالى أتى البشر من المواطن التي ظنوا قوتهم فيها، على سبيل المثال، معجزة عيسى (عليه السلام) بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في قوم اشتهروا بالبراعة في الطب، و معجزة إبراهيم (عليه السلام) بإبطال السبب المادي الذي اعتمدوا عليه ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [3]، وكذلك أتى(الله سبحانه و تعالى) معجزة القرآن الكريم لمحمد(ﷺ)، في قوم كانت الفصاحة براعتهم وتنافسهم، حتى أنهم علقوا على الكعبة المشرفة ما يسمى (بالمعلقات السبع) تكريما لأفضل الشعراء.[4] فتحداهم الله عزذ وجلّ قائلا ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[5].

فالله (عز وجل) أحكم الحاكمين لا يأتي بالشيء إلا في موعده المناسب بحكمته والتدرج سنته سبحانه وتعالى، وقد جاء القرآن الكريم بختام الرسالات السماوية للبشر وجاء كذلك ختاما للمعجزات السماوية على يدّ الأنبياء، فحق أن تأتي المعجزة عقلية سامية حتى تتلمسها الأجيال، وحفظها الله(عزوجل) من التحريف والتبديل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [6]، وذلك من تمام المعجزة وخلودها،إذ جاء القرآن الكريم مرتبطاً بحياة الأفراد وجامعاً لشتى العلوم من عقائد وعبادات وأخلاق وسياسة

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القرآن للرافعي، 139.
(2) صحيح البخاري 1102/3، كتاب الإيمان ،باب الحرب خدعة رقم الحديث ((54)).
(3) سورة الأنبياء 69.
(4) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن للباقلاني،96/9.
(5) سورة البقرة الآية 23.
(6) سورة الحجر الآية 9.

وجغرافيا وتاريخ...الخ، وجاء شافياً لأمراض القلوب من حيرة وقلق ونصب على الدنيا، وداعياً لجنة عرضها السماوات والأرض ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ (1).

ولذلك نجد المجتمع الغربي على ما هو عليه من الترف إلا أنه يعاني من الحيرة و القلق، وذلك لبعدهم عن منهج الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾(2)، وعلى سبيل المثال نجد أعلى نسبة أمراض نفسية وعقلية توجد في المجتمعات الغربية، أما عن الجرائم و الانتحار فحدث ولا حرج، وفي الختام لابد أن يأتي بالخير من قبل أهل الخير، ولله المثل الأعلى، فكان ختام الرسالات السماوية بخير رسالة وأسمح شريعة وأيسرها وأعظمها سمواً ورسولها (ﷺ) أعظم الرسل، وكتابهم القرآن الكريم خير الكتب ومهيمناً على ما قبله من الكتب ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ (3).

(1) المائدة :15 – 16.
(2) سورة طه :124.
(3) سورة المائدة الآية :48، وينظر الإعجاز اللغوي في القران الكريم،99/9.

من خلال ما تقدم يمكن أنّ نتكلم عمّا يأتي:

1- إنفراد العربية بالإعجاز:

قال الباقلاني[1] (رحمه الله):

(ويمكن بيان ذلك بأنا لا نجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة للشيء الواحد من الأسماء ما تعرف من اللغة العربية، وكذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تتناوله العربية، وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات ووجوه الاستعمالات البديعة). [2] ومن دقيقِ ذلك وخَفيَّه أنك ترى الناسَ إذا ذكروا قولَه تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [3] لم يَزيدوا فيه على ذِكْرِ الاستعارةِ، ولم ينسبوا الشرفَ إلاّ إليها، ولم يَرَوا للمزيَّةِ مُوجباً سِواها. هكذا ترى الأَمرَ في ظاهرِ كلامِهم، وليس الأمرُ على ذلك. ولا هذا الشَّرفُ العظيمُ، ولا هذه المزيةُ الجليلةُ وهذه الرَّوعةُ التي تدخُلُ على النُّفوس عند هذا الكلامِ لمجرَّدِ الاستعارة. ولكن لأنْ سُلِك بالكلام طريقُ ما يسندُ الفعْلُ فيه إلى الشيءِ، وهو لِما هو من سَبَبِهِ فيُرفعُ به ما يسندُ إليه، ويؤتَى بالذي الفعلُ له في المعنى، منصوباً بَعده مبيناً أنَّ ذلك الإسنادَ، وتلك النسبةَ إلى ذلك الأولِ إنَّما كانَ من أجلِ هذا الثاني، ولما بينَه وبينَه منَ الاتِّصالِ والمُلابسةِ، كقولهم: طابَ زيدٌ نفساً، وقرَّ عَمْرٌ و عَيْناً، وتَصبَّب عرقاً، وكَرُم أصلاً.[4]وكذلك في قوله تعالى ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ [5] فما فائدة التكرار هنا؟ ذهب ابن جماعة بالقول: أما توكيد الخبر أو سيعلمون ما يلقون في الآخرة؛ فالجديد في لغة القرآن الكريم أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق

---

(1) محمد بن الطيب ابوبكر الباقلاني رأس المتكلمين على مذهب الشافعي وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره فانتشرت عنه تصانيف كثيرة منها التبصرة ودقائق الحقائق والتمهيد في أصول الفقه وشرح الابانة وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ومن أحسنها كتابه في الرد على الباطنية الذي سماه كشف الأسرار وهتك الأستار (انظر:البداية والنهاية 350/5).

(2) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن، للباقلاني،66/8.

(3) سورة مريم الآية: ٤.

(4) يُنْظَرْ:دلائل الإعجاز92/1.

(5) سورة النبأ الآيات: ٤ – ٥.

بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يوماً أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبغي عن منزله حولا..وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان [1].

2- اشتماله على المعاني الدقيقة:

إنّ من دقة اللفظ في القرآن الكريم يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد بها تؤمن بان هذا المكان كأنما خلقت له، تلك الكلمة بعينها وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفيه المعنى الذي وفت به أختها فكل لفظة وضعت لتؤدى نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد في القرآن الكريم ترادفاً بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً، ولما بين الكلمات من فروق ولما يبعثه بعضها في نفس من إيحاءات خاصة دعا القرآن الكريم ألا يستخدم لفظ مكان آخر فقال ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه ولما كانت كلمة (راعنا) لها معنى في العبرية مذموم نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بها فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] فالقرآن شديد الدّقة فيما يختار من لفظ يؤدي به المعنى.[4]

وتنكير كلمة حياة في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [5] يعبر يعبر تعبيراً دقيقاً عن حرص هؤلاء الناس على مطلق حياة يعيشونها مهما كانت

(1) يُنْظَرْ : كشف المعاني ، لابن جماعة 317.
(2) سورة الحجرات الآية 14.
(3) سورة البقرة الآية: 104.
(4) يُنْظَرْ: من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي، 77/8 .
(5) سورة البقرة الآية: 96.

حقيرة القدر ضئيلة القيمة وعندما أضيفت هذه الكلمة إلى ياء المتكلم في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ عبرت أدق تعبير عن شعور الإنسان يومئذ وقد أدرك في جلاء ووضوح أن تلك الحياة الدنيا لم تكن إلا وهماً باطلاً وسراباً خادعاً أما الحياة الحقة الباقية فهي تلك التي بعد البعث لأنها دائمة لا انقطاع لها فلا جرم أن سماها حياته وندم على انه لم يقدم عملاً □الحاً ينفعه في تلك الحياة.[1] ومن دقة التمييز بين معاني الكلمات ما نجده من الفرق في الاستعمال بين يعلمون ويشعرون ففي الأمور التي ترجع إلى العقل وحده أمر الف□ل فيها تجد كلمة يعلمون □احبة الحقّ في التعبير عنها ؛ أما الأمور التي يكون للحواس مدخل في شانها فكلمة (يشعرون) أولى بها.[2]

وتأمل لذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[3]، فالسفاهة أمر مرجعه إلى العقل وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾[7]، إلى غير غير ذلك مما يطول بي أمر تعداده إذا مضيت في إيراد كل ما استخدمت فيه كلمة يعلمون وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾[8] فمن الممكن أن يرى الأحياء وأن يحس بهم وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ

(1) يُنْظَرْ: كشف المعاني ، لابن جماعة 86.
(2) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(3) سورة البقرة الآية: 13.
(4) سورة البقرة الآية: البقرة 77.
(5) سورة الأنعام الآية 114.
(6) سورة الأنبياء الآية :24.
(7) سورة النور الآية: 25.
(8) سورة البقرة الآية : 154.

﴿ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [1]، فالعذاب مما يشعر به ويحس وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [3]، وقوله تعالى: (وقلت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) وغير ذلك كثير لا يتسع المقام لذكره.

واستخدم القرآن الكريم كلمة التراب، ولكنه حين أراد هذا التراب الدقيق الذي لا يقوى على عصف الريح استخدم الكلمة الدقيقة، وهي الرماد فقال: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [4] كما انه آثر عليها كلمة الثرى عندما[5] قال: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [6] لأنه يريد على ما يبدو من سياق الآيات الكريمة الأرض المكونة من التراب،وهي من معاني الثرى فضلاً عما في اختيار الكلمة من المحافظة على الأوزان اللفظية في فواصل الآيات.[7]

(1) سورة الزمر الآية: 55.
(2) سورة البقرة الآيات:11- 12.
(3) سورة النمل الآية: 18.
(4) سورة إبراهيم الآية: 18.
(5) يُنْظَرْ:دلائل الإعجاز72/1.
(6) سورة طه الآيات 4 – 6.
(7) يُنْظَرْ: كشف المعاني، لابن جماعة 55.

3- عدم الاختلاف والتناقض:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [1].

قال الحافظ ابن كثير[2] (يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾، ثم قال (ولو كان من عند غير الله " أي لو كان مفتعلا مختلفا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا أي اضطرابا وتضادا كثيرا أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله عزوجل)[3] في فتح القدير للإمام الشوكاني[4] ما نصّه (تفاوتاً وتناقضاً، ولا يدخل في في هذا اختلاف مقادير الآيات، والسور؛ لأن المراد اختلاف التناقض والتفاوت، وعدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البشر لا سيما إذا طال، وتعرّض قائله للإخبار بالغيب، فإنه لا يوجد منه صحيحاً مطابقاً للواقع إلا القليل النادر) [5].وقال الفخر الرازي[6]: (أي لكان بعضه وارداً على نقيض الآخر، ولتفاوت نسق الكلام في

---

(1) سورة النساء الآية: 82.

(2) الحافظ عماد الدين بن الخطيب شهاب الدين المعروف : بالحافظ ابن كثير ولد سنة سبعمائة وقدم دمشق وكان كثير الاستحضار وقليل النسيان (يُنْظَرْ:أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم 89/9 ، صديق بن حسن القنوجي دار الكتب العلمية بيروت ، 1978تحقيق : عبد الجبار زكار).

(3) تفسير القرآن العظيم 33/4.

(4) الشوكاني: أبو عبد الله الشوكاني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني المالكي من أهل شوكان إحدى قرى خابران كان من أهل الخير والصلاح ووالده أبو طاهر كان من مشاهير المحدثين بخراسان سمع أباه أبا طاهر وأبا الفضل محمد بن أحمد ابن أبي الحسن العارف الميهني كتبت عنه شيئا يسيرا بشوكان وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمئة إن شاء الله وتوفي ليلة السبت الثامن من شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة بشوكان 2 /75
(ينظر:التجبير في المعجم الكبير ، الامام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي: رئاسة ديوان الأوقاف بغداد 1395هـ- 1975م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : منيرة ناجي سالم)

(5) فتح القدير 99/2.

(6) الإمام الحافظ المحقق أبو بكر الفضل بن العباس الرازي صاحب التصانيف روى عن عيسى بن ميناقالون وعبدالعزيز الأويسي وقتيبة بن سعيد وهدبة بن خالد وطبقتهم حدث عنه أبو

الفـاحة والركاكة). [1]و قال البيضاوي[2] ما نـصّه:(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله)، (أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار (لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً) من تناقض المعنـى وتفـاوت الـنظم، وكـان بعضـه فـيحاً وبعضـه ركيكـاً، وبعضـه يـعب معارضـته وبعضـه يسـهل، ومطابقـة بعـض أخبـاره المسـتقبلة للواقـع دون بعـض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دلّ عليه الاستقراء لنقـان القوة البشرية. ولعل ذكره ها هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمـالح). [3]

عوانـه الإسـفراييني وأبـو بكـر الخرائطـي ومحمد بـن مخلـد العطـار ومحمد بـن جعفـر المطيـري وآخرون سير أعلام النبلاء 12 /630، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي).

(1) تفسير الرازى99/4.

(2) محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الله البيضـاوي تفقه علـى الـداركي وقـال الشيخ أبـو إسحاق وحضرت مجلسه وعلقت عنه وكان ورعا حافظا للمذهب والخلاف موفقا في الفتاوى مات فجأة في رجب سنة (ينظر: طبقات الشافعية 1 /215، أبو بكر بن أحمد بن محمد).

(3) تفسير البيضاوي 55/4.

ه ــ قال النسفي[1]:

رحمه الله- (أي تناقضاً من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم، أو تفاوتاً من حيث البلاغة فكان بعضه بالغاً حدّ الإعجاز وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، أو من حيث المعاني فكان بعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم). [2]

أما من ناحية صيغ الأفعال والمشتقات، فالأفعال المضارعة تستعمل في المواقف التي تفيد الاستمرار والتجديد في الأعمال، أو تفيد استحضار الصور البعيدة وتقريبها، حتى لكأنها ماثلة أمام العين تتملاها وتراها،[3] فقد استعمل الفعل المضارع (تصبح) بدل الفعل الماضي (أصبح) ليفيد بذلك استمرار هذه النعمة وتجددها حالاً بعد حال، وهي خضرة النبات ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [4]، قبل الدخول في بيان ماهية التكرار أجد نفسي ملزماً أن اعرف التكرار لغةً واصطلاحاً:

(1) علي بن محمد بن يوسف بن سفيان بن مالك بن مسمع عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري عن أبيه عن جده رفعه بحديث قال يا أيها الناس أنا أبا بكر لم يسؤني قط الحديث قال الحافظ الضياء لم أجد له ولا لشيخه قلت وقد مضى ذكره في سهل بن يوسف وساق حديثه ونبهت عليه في محمد بن يوسف المسمعي (لسان الميزان 4 /261، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي).

(2) تفسير النسفي :99/4 ،ونظم الدرر للبقاعي 99/8.

(3) نظم الدرر للبقاعي 99/8.

(4) سورة الحج الآية:63.

أ - تعريف التكرار لغةً واصطلاحاً:

التكرار في اللغة: قال ابن منظور:الكَرُّ: الرجوع، يقال: كَرَّه وكَرَّ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى، والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا والكَرُّ: الرجوع على الشيء، ومنه التَّكْرارُ: كَرَّرْتُ الشيء تَكْرِيراً وتَكْراراً [1].

التكرار في الاصطلاح:

تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها، التكرار الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[2].

ويمكن لنا أن نقول:اعترض بعض من لا يفقه لغة العرب فراح يطعن بالتكرار الوارد في القرآن، وظن هؤلاء أن هذا ليس من أساليب الفصاحة، وهذا من جهلهم، فالتكرار الوارد في القرآن الكريم ليس من التكرار المذموم الذي لا قيمة له والذي يرد في كلام من لا يحسن اللغة أو لا يحسن التعبير.وقد عرّفه السيوطي[3] (رحمه الله) إذ قال التكرار: وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط [4].

قسَّم العلماء التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين:

أحدهما: تكرار اللفظ والمعنى:

(1) يُنْظَرْ:لسان العرب 135/5 مادة(كر) .
(2) يُنْظَرْ:التعاريف 201/1، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ،236/1
(3) جلال الدين السيوطي السجزي المفسر وأبي ذر الهروي وخلائق وتخرج به خلق وفسر القرآن زمانا وكان يقول إذا ذكرت التفسير فإنما أذكره من مائة وسبعة تفاسير وله تصانيف منها ذم لكلام وكتاب منازل السائرين في التصوف وكتاب الفاروق في الصفات وغير ذلك وكان آية في التذكير والوعظ روى عنه أبو الوقت عبد الأول وخلائق آخرهم بالإجازة أبو الفتح نصر بن سيار مولده سنة ست وتسعين وثلاثمائة ومات في ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة طبقات المفسرين 1 /58، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي).
(4) يُنْظَرْ:الإتقان 275/3.

وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى، وقد جاء على وجهين: موصول، ومفصول [1]، أما الموصول: فقد جاء على وجوه متعددة: منها تكرار كلمات في سياق الآية، مثل قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [2]، أو في آخر الآية وأول التي بعدها) [3]، وإما في أواخرها، مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [4]، وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [5].

وأما المفصول: فيأتي على صورتين: تكرار في السورة نفسها،أو تكرار في القرآن كله. [6] مثال التكرار في السورة نفسها: تكرر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) في سورة " الشعراء: 8 مرات، وتكرر قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة " المرسلات " 10 مرات، وتكرر قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة " الرحمن " 31 مرة.ومثال التكرار في القرآن كلهُ: تكرر قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ 6 مرات: في " يونس " (48) و "الأنبياء" (38) و " النمل " (71) و "سبأ" (29) و " يس " (48) و " الملك " (25)، وتكرر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ مرتين: في " التوبة " (73) والتحريم (9).

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه :150/3.
(2) سورة المؤمنون الآية: 36.
(3) سورة الإنسان الآية: 15 – 16.
(4) سورة الفجر الآية: 21.
(5) سورة الشرح الآية:5 -6.
(6) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن 280/3 .

والثاني: التكرار في المعنى دون اللفظ:

وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذِكر الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها [1].

فوائد التكرار: قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: وليس في القرآن تكرار محض، بل

لابد من فوائد في كل خطاب،وقال في التعليق على تكرار قصة موسى مع قومه[3]، وقد ذكر الله هذه القصة في مواضع عدة من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي (ﷺ) إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة. [4]

وكذلك القرآن الكريم إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح: فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر في سورة البقرة نجد لفظة (فانفجرت) الاية:60 وفي سورة الأعراف لفظة (فانبجست) الآية 160، لأن الانفجار انصباب الماء بكثرة، والانبجاس ظهور الماء [5].

وكذلك أسماء الربّ تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور: فكل اسم يدل على معنى ليس هو

---

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه:76/2.

(2) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات مؤلف الأحكام وتيمية لقب جده الأعلى ولد بحران وتحول به أبوه إلى دمشق وتوفي سنة 827هـ.الوافي بالوفيات 11/7.

(3) يُنْظَرْ:مجموع الفتاوى، 14 / 408 .

(4) يُنْظَرْ:المصدر نفسه 14 / 408 .

(5) يُنْظَرْ:أسرار التكرار في القرآن للكرماني 30/1.

المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة.[1]

وكذلك في الجمل التامة، يعبَّر عن القصة بجُمَل تدل على معانٍ فيها، ثم يعبر عنها بجُمَل أخرى تدل على معانٍ أُخَر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجُمَل معنًى ليس في الجُمَل الأُخَر تكرار ما يستحق التكرار من الأمور المهمة حتى يجد سبيله إلى النفوس النافرة والطباع العصية فتسلس له القيادة وتلقى إليه السلم مثال ذلك تقرير القرآن لعقيدة التوحيد واستئصاله لشأفة الشرك بوساطة الحديث عنهما مراراً وتكراراً تارة يصرح وأخرى يلوح وتارة يوجز وأخرى يطنب وتارة يذكر العقيدة مرسلة وأخرى يذكرها مدللة وتارة يشفعها بدليل واحد وأخرى بجملة أدلة وتارة يضرب لها الأمثال وأخرى يسوق فيها القصص وتارة يقرنها بالوعد وأخرى بالوعيد وهلم[2].

وقال السيوطي، رحمه الله –: وله – أي: التكرار - فوائد: [3]

منها: التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرَّر تقرَّر، وقد نبّه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن الكريم بقوله ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [4] ومنها: التأكيد، ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [5]، فإنه كرر فيه النداء لذلك، ومنها: إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديداً لعهده، ومنه ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [6]، ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(2) يُنْظَرْ: مناهل العرفان في علوم القرآن ،262/2 مجموع الفتاوى 19/ 167 – 168.
(3) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن 3 / 280.
(4) سورة طه الآية : 113.
(5) سورة غافر الآية: 38 39.
(6) سورة النحل الآية : 119.

بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [1]، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[2] إلى قوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾، ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3].

ومنها: التعظيم والتهويل نحو (الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ)، (الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ)، (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) [4].

فوائد تكرار بعض القصص والآيات:

1. قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله :

فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [5].

الجواب: أن ذلك التكرير لتقرير النِّعم وتأكيد التذكير بها، ومن مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز ؛ لأن افتنان المتكلِّم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فنٍّ واحدٍ، يقول القائل منهم: واللهِ لا أفعله، ثم واللهِ لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللهِ أفعلُه، بإضمار " لا " إذا أراد الاختصار، ويقول القائل المستعجِل: اعْجَل اعْجَل، وللرامي: ارمِ ارمِ، فلمّا عَدَّد اللهُ تعالى في هذه السورة نعماءَه، وأذكَرَ عِبَادَه آلاءَه، ونبَّههم على قُدرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نِعمتين، ليُفَهِّمهم النِّعم ويُقَرِّرهم بها [6].

2. **قال القرطبي[7] رحمه الله :**

---

(1) سورة النحل الآية : 110.
(2) سورة البقرة الآية : 189.
(3) سورة يوسف الآية : 4.
(4) سورة الواقعة الآية:27 ،و يُنْظَرْ:: الإتقان في علوم القرآن 3 /281 .
(5) سورة الرحمن الآية 13.
(6) يُنْظَرْ: زاد المسير 5 / 461 .
(7) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب - في شمالي أسيوط بمصر- وتوفي فيه سنة 671 هـ .(الأعلام للزركلي 322/5).

وأما وجه التكرار أي: (قل يا أيها الكافرون) فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم، كما تقول: والله لا أفعل كذا، ثم والله لا أفعله، نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد، قال الله تعالى: (فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان)، (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [1] و ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [2]: كل هذا على التأكيد [3].

وكذلك في قوله تعالى في حكمة دخول (الواو) في النصّ القرآني ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [4]، ثم قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [5] عملت (الواو) هنا عملاً بالغ الضرورة إذ أن أصحاب النار النار قد سيقوا إلى جهنم وهي بعد لم تفتح حتى إذا وقفوا على أبوابها فتحت عن جملة عذابها فكان هذا عذاباً ضعفاً عليهم. أما أصحاب الجنة فقد سيقوا إلى الجنة وأبوابها قد فتحت لهم قبل مجيئهم أي أن تقدير الآية: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها، وهذا من زيادة الترحيب بأهل الجنة، وتعجيل البشارة لهم، وبالتالي فقد أشارت (الواو) إلى عذاب أهل النار المضاعف. ولما كان إغلاق الباب المقصود على قاصده دالاً على صغاره، دلّ على أن أمرهم كذلك بقوله ذاكراً غاية السوق (حتى إذا جاءوها) أي على صفة الذلة والصغار وأجاب بقوله (فتحت أبوابها) أي بولغ كما يفعل في أبواب السجن لأهل الجرائم بعد تكاملهم في الإسراع في فتحها ليخرج إليهم من كان محبوساً بإغلاقها من الحرارة التي يلقاها جحيمها.[6]

ومن بديع إعجاز القران الكريم اللغوي قصد في اللفظ مع وفاء المعنى:

(1) سورة النبأ الآيات: 4 – 5.
(2) سورة الشرح الايات: 5 6
(3) يُنْظَرْ: تفسير القرطبي20 / 226
(4) سورة الزمر: من الآية71.
(5) سورة الزمر: من الآية73.
(6) يُنْظَرْ: :نظم الدرر للبقاعي:16/563-564

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى في وصف خمر الجنة: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[1]، فقد جمع عيوب خمر الدنيا من الصداع، وعدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب،وحقيقة قوله تعالى:﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾. أي: لا يصدر صداعهم عنها، والمراد: لا يلحق رؤوسهم الصداع، الذي يلحق من خمر الدنيا. وقيل: لا يفرقون عنها، بمعنى: لا تقطَع عنهم لذتهُم بسبب من الأسباب، كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق معناه يتفرقون بعد جمعهم وهذا هو التصدع والمعنى يتفرقون إلى الجنة وإلى النار ثم قسم الفريقين بأحكام تلحقهم من أعمال في الدنيا ثم عبر عن الكفر ب عليه وهي تعطي الثقل والمشقة وعن العمل الصالح باللام التي هي كلام[2]

وقوله تعالى:﴿ وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾، لا تذهب عقولهم بسكرها، من نزف الشارب، إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. قيل: وهو من نزف الماء: نزحه من البئر شيئًا فشيئًا. ويصرع شرابهم ويقال فلان ذهب عقله أى لا يسكرون من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه[3].

ومن بديع الإطناب قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾[4] ففي قوله: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾[5] تحيير للمخاطب وتردد، في أنه كيف لا يبرئ نفسه من السوء، وهي بريئة، قد ثبت عصمتها ! ثم جاء الجواب عن ذلك بقوله:﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ﴾، والمراد بالنَّفْسَ النفس البشرية عامة وأَمَّارَةٌ صيغة مبالغة على وزن: فعَّالة. أي: كثيرة الأمر بِالسُّوءِ أي: بجنسه، والمراد: أنها كثيرة الميل إلى الشهوات، والمعنى: إن كل نفس أمارة بالسوء، إلا نفسًا رحمها الله تعالى بالعصمة، وهذا التفسير محمول على أن القائل يوسف عليه السلام، والظاهر أنه من قول امرأة العزيز، وأنه اعتذار

(1) سورة الواقعة الآية: 19.
(2) يُنْظَرْ:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 341/4.
(3) يُنْظَرْ: تفسير أبي السعود 8 /191نظم الدرر للبقاعي:204/19.
(4) ورة يوسف الآية: 53.
(5) يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي130/10.

منها عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات والمعنى: وما أبريء نفسي، مع ذلك من الخيانة، فإني قد خنته حين قذفته، وقلت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] وأودعته السجن، تريد بذلك الاعتذار مما كان منها. ثم استغفرت ربها، واسترحمته مما ارتكبت.والتبرئة هنا عظيمة عن مطلق الزلل، وان غلبه التوفيق والعصمة أي لم اقصد بالبراءة عمّا تقدم مجرد التزكية للنفس، وان النفس أي ؛هذا النوع من النفس لإمارة،أي شديدة الأمر بالسوء(إلا ما) أي وقت إن رحم ربي بكفها عن الأمر به أو بستره بكفها عن فعله بعد إطلاقها على الأمر به[2]

ومن الآيات البديعة، التي جمعت بين الإيجاز والإطناب، في أسلوب رفيع من النظم بديع، قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]، أما الإطناب [4] فنلحظه في قول هذه النملة:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، وقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. أما قولها:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾ الألف والهاء لحقت { أيًّا } توكيدًا؛ فكأنك كررت { يا } مرتين، وصار الاسم تنبيهًا.[5]

وقال الزمخشري: كرر النداء في القرآن بـ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، دون غيره؛ لأن فيه أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة؛ منها: ما في { يا } من التأكيد، والتنبيه، وما في { ها } من التنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في { أيّ } إلى التوضيح. والمقام يناسبه المبالغة، والتأكيد.[6]

وأما قولها:﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فهو تكميل لما قبله، جيء به، لرفع توهُّم غيره، ويسمَّى ذلك عند علماء البلاغة والبيان: احتراسًا؛ وذلك من نسبة الظلم إلى

(1) سورة يوسف الآية: 25.
(2) يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي129/10
(3) سورة النمل الآية : 18.
(4) الإطناب:أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة وأن يخبر المطلوب بمعنى المعشوق بكلام طويل لأن كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة فإن كثرة الكلام توجب كثرة النظر والإطناب أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد. (يُنْظَرْ :التعريفات 46/1).
(5) ينظر :نظم الدرر للبقاعي129/10
(6) يُنْظَرْ: الكشاف 360/3.

سليمان- عليه السلام- وكأن هذه النملة عرفت أن الأنبياء معصومون، فلا يقع منهم خطأ إلا على سبيل السهو. قال الرازي:(وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء، عليهم السلام).[1] ويطالعنا الإعجاز اللغوي في صياغة الآية والجملة القرآنية، من خلال النظر في الترتيب والصياغة، وأساليب: القسم، والإيجاز والإطناب والالتفات، والتغليب:

1-الترتيب[2] والصياغة[3]: كما في قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] قدم (الجحيم) على (صلوة) (في سلسلة) على (فاسلكوه) لمراعاة الفواصل، أو لإرادة الحصر: كأن المعنى: إنكم أيها المأمورون بعذاب ذلك الجاحد لا يسمح لكم أن توردوه من طبقات النار إلا أشدها حماراً، وأقواها اشتعالاً، ولا أن تعذبوه من آلات العذاب إلا بأعظمها هولاً وأبينها طولاً، خذوه فغلوه يعني غلوا يديه إلى عنقه،ثم الجحيم صلوه يعني الباب السادس من جهنم فصلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا بالذراع الأول فاسلكوه فأدخلوه فيه كل ذراع منها بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول، ولو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص فكيف بابن آدم وهي عليك وحدك[5]

2-القسم[6]: كما في قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[7] فجاوب القسم محذوف دل عليه قوله بعد: (أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّنْ نَجْمَعَ

(1) تفسير الفخر الرازي:161/24.
(2) الترتيب: هو جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها أسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر (التعريفات78/1).
(3) الصياغة: صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الإفهام لمعناه بتبيين المراد، وتزيين الألفاظ بما يقرب فهمه ، ويعزب نظمه، ويعذب استماعه، ويعجب ابتداعه(يُنْظَرْ ::معجم مقاليد العلوم 93/1).
(4) سورة الحاقة الآيات:30-32.
(5) يُنْظَرْ :تفسير مقاتل بن سليمان 394/3.
(6) القسم: حلف واصله من القسامة وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسما لكل حلف (يُنْظَرْ:المفردات في غريب القرآن 403/1).
(7) سورة القيامة الآيات:1-2

عِظَامَهُ)[1] وقيل (لا) لنفي القسم، وهو أسلوب من أساليبه يفيد التأكيد، كأنه قال: لا اقسم عليك بذلك اليوم، وتلك النفس ولكني أسألك غير مقسم، أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت ؟ إن الموت من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم.[2]

3-الالتفات[3]: ظاهرة أُسلوبية واضحة جداً في المشاهد القرآنية حيث يضرب على أوتار النفس ليزيدها تنبهاً وإيقاظاً أو هزاً أو تحريكاً، وأنه لا يكون الا لفائدة اقتضته، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطريه لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من أجزائه على أسلوب واحد. ومما وقع منه في المشاهد قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾[4] فالانتقال فالانتقال من الحديث عنهم (وقالوا) إلى الحديث إليهم (لقد جئتم) زيادة في تهديد من قالوا، ومواجهة لهم بالسخط عليهم، والتأنيب لهم. وفي قوله:(لَقَدْ جِئْتُمْ) وما يفه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا[5].

ومن استعمالات الالتفات ما يرمي إلى غاية التفخيم والتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾[6]. فقد التفت بقوله (أخرجنا) من الغيبة إلى التكلم، مسنداً الفعل إلى الضمير (نا) بعد أن كانت الأفعال قبله مسندة إلى ضمير

(1) سورة القيامة الآية:3.
(2) يُنْظَرْ:التفسير الكبير1/118.
(3) الالتفات: العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو عكس ذلك (يُنْظَرْ:التعاريف 1/ 87).
(4) سورة مريم الآيات:88-90.
(5) يُنْظَرْ:التفسير الكبير1/68.
(6) سورة طه الآيات:53.

الواحد الغائب وفي إعادة الفعل في الجوانب اعتناء بشأنه ومطابقته للسؤال من حيث المعنى [1]

4-التغليب:[2] كثيراً ما يغلب القرآن بعض عناصر الكون على بعض، فإذا ذكر سعي الحيوان مثلاً، غلب الماشي منه على الزاحف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] ؛ فالتغليب هو أن يُغلَّب العاقل على غير العاقل إذا اجتمعا، أو يغلب عنصرٌ من عناصر الكون في مواضع إذا اجتمع، وكذلك الأمر في الالتفات تبياناً لنفاذ الله ومشيئته في الكون.[4]

ومن روعة إعجازه اللغوي يكمن في بلاغته الرائعة وذلك من خلال الاستعارة:

وتعريف الاستعارة هو: هي تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه الشبه وأداته. وهي ضرب من المجاز والمجاز أبلغ من الحقيقة لأن المعاني لا تقنع بالبقاء في حقيقتها إذا النفس الإنسانية تضيق بها وتتوق إلى الخروج عن مصطلحاتها المحدودة إلى آفاق مديدة من المعاني التي تتصور في أطر جديدة من التعبير المجازي. [5]

* أنواع الاستعارة:[6]:

الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، فإن كان المشبه به مذكوراً والمشبه غير مذكور فهو استعارة تصريحية وإن كان بالعكس فهو

---

(1) يُنْظَرْ: روح المعاني 66/25.
(2) التغليب :هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاقه عليهما وقيدوا إطلاقه عليهما للاحتراز عن المشاكلة (يُنْظَرْ: التعريفات 87/1).
(3) سورة النور الآية:45.
(4) يُنْظَرْ: روح المعاني 66/2.
(5) يُنْظَرْ:الإيضاح في علوم البلاغة 4 /76.
(6) يُنْظَرْ: المصدر نفسه 4 /44، نظم الدرر للبقاعي:16/563-564

استعالة بالكناية [1].والاستعارة المكنية [2] ما حذف منها المشبه به واكتفي بذكر المشبه، كقوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [3].

من روائع الاستعارة في القرآن الكريم

ا - قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [4]

استعير في الآية الكريمة: " السلخ " وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلاً قليلاً، بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خافياً، فبكشط الجلد يظهر لحم الشاة، وبغروب الشمس تظهر الظلمة التي هي الأصل والنور طارئ عليها، يسترها بضوئه. و هذا التعبير الفني يسميه علماء البلاغة " الاستعارة التصريحية التبعية " [5].

استعارة رائعة وجملية، إنها بنظمها الفريد وبإيحائها وظلها وجرسها قد رسمت منظر بديعاً للضوء وهو ينحسر عن الكون قليلاً قليلاً وللظلام وهو يدب إليه في بطء.[6]

إنها قد خلعت على الضوء والظلام الحياة، حتى صارا كأنهما جيشان يقتتلان، قد أنهزم أحدهما فولى هارباً، وترك مكانه للآخر.[7]

تأمل اللفظة المستعارة وهي " نسلخ " إن هذه الكلمة هي التي قد استقلت بالتصوير والتعبير داخل نظم الآية المعجز فهل يصلح مكانها غيرها[8]. ب - قال تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[9]. استعير في الآية الكريمة خروج النفس شيئاً فشيئاً

(1) يُنْظَرْ: خزانة الأدب9 /260.
(2) ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة 55/2.
(3) سورة مريم الآية:4.
(4) سورة يس الآية: 37.
(5) يُنْظَرْ:الإيضاح في علوم البلاغة 961/1.
(6) يُنْظَرْ: مجاز القرآن 105/1.
(7) يُنْظَرْ: معاني القرآن492/5.
(8) ينظر:إعجاز القرآن:188/1.
(9) سورة التكوير الآية: 18.

لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً بمعنى النفس، تنفس بمعنى خرج النور من المشرق عند انشقاق الفجر. [1]

استعارة قد بلغت من الحسن أقصاه، وتربعت على عرش الجمال بنظمها الفريد، إنها قد خلعت على الصبح الحياة حتى لقد صار كائنا حيا يتنفس، بل إنساناً ذا عواطف وخلجات نفسية، تشرق الحياة بإشراق من ثغره المنفرج عن ابتسامة وديعة، وهو يتنفس بهدوء، فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، أرأيت أعجب من هذا التصوير، ولا أمتع من هذا التعبير؟[2]

ثم تأمل اللفظة المستعارة وهي " تنفس " أنها بصوتها الجميل وظلها الظليل، وجرسها الساحر قد رسمت هذه الصورة البديعة في إطار نظم الآية المعجزة، فهل من ألفاظ اللغة العربية على كثرتها يؤدي ما أدته، ويصور ما صورته ؟ [3]

قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [4]

استعير في الآية الكريمة " الطغيان " للأكثر الماء بجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعارة المفرط في كل منها. ثم اشتق من الطغيان: " طغى " بمعنى كثر استعارة فريدة لا توجد في غير القرآن إنها تصور لك الماء إذا كثر وفار واضطرب بالطاغية الذي جاوز حده، وأفرط في استعلائه. أرأيت أعجب من هذا التصوير الذي يخلع على الماء صفات الإنسان الآدمي؟ ثم تأمل اللفظة المستعارة " طغى " إنها بصوتها وظلها وجرسها إيحائها قد استقلت برسم هذه الصورة الساحرة في إطار نظم الآية المعجز.[5]

الكناية تعريفها: لفظ استعمل في غير معناه الأصلي الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي. وهي كما عرفها البلاغيون: إرادة المتكلم إثبات معنى من

(1) يُنْظَرْ:تفسير مقاتل 456/4.
(2) يُنْظَرْ: فضائل القرآن ،للقاسم ابن سلام:120/1.
(3) يُنْظَرْ:تفسير البيضاوي:486/5.
(4) سورة الحاقة الآية: 11.
(5) يُنْظَرْ: روح المعاني 68/1.

المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يأتي إلى معنى هو مرادفة في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه. [1]

(1) يُنْظَرْ:النهاية في الكناية 66/8.

أقسام الكناية، تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاث أقسام:[1]

1- أن يكون الأمر المقصود صفة معنوية كالكرم والشجاعة.

2- أن يكون الأمر نسبة بين شيئين.

3- أن يكون الأمر المقصود موصوفاً.[2]

ا- الكناية عن صفة: المقصود بها إيراد صفة من الصفات المعنوية لم تذكر بلفظها وإنما ذكرت ألفاظ صفات أخر انتقل منها إلى المراد.[3]

ب- الكناية عن نسبة: الكناية عن نسبة هي التي يصرح فيها بالصفة منسوبة لشيء يتعلق بالموصوف.

ج- الكناية عن موصوف: الكناية عن موصوف لفظ يدل على معنى واحد أريد به موصوف[4]

من روائع الكناية:

ا - قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [5] لقد كنى القرآن الكريم في هذه الآية بكلمة " الحرث " عن المعاشرة الزوجية،إن هذه الكناية الفردية مما انفرد به القرآن الكريم فهي لطيفة دقيقة راسمة مصورة، مؤدية مهذبة، فيها من روعة التعبير و جمال التصوير، و ألوان الأدب و التهذيب ما لا يستقل به بيان، و لا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن. إنها عبرت عن العاشرة الزوجية التي من شأنها أن تتم في السر و الخفاء بالحرث و هذا نوع من الأدب رفيع وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية، و تنطوي تحته معاني كثيرة تحتاج في التعبير عنها إلى الآف الكلمات انظر إلى ذلك التشابه بين صلة الزراع بحرثه وصلة الزوجة في هذا المجال

(1) يُنْظَرْ:الإيضاح في علوم البلاغة 961/1.
(2) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(3) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(4) يُنْظَرْ:المصدر نفسه: 88/6.
(5) سورة البقرة الآية: :223.

الخاص، و بين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، و ذلك النبت الذي تخرجه الزوج، و ما في كليهما من تكثير و عمران و فلاح كل هذه الصور و المعاني تنطوي تحت كلمة " الحرث " أليست هذه الكلمة معجزة بنظمها و تصورها ؟ هل في مفردات اللغة العربية ـ على كثرتها ـ ما يقوم مقامها و يؤدي ما أدته و يصور ما صورته. إن المعنى لا يتحقق إلا بها. و عن التصوير لا يوجد بسواها.[1]

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] هذه الآية كناية عن عدم العناية عند ظهور المعجزة. أي لا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة تأمل هذه الكناية و مدى ما فيها من جمال التعبير، و روعة التصوير، و لطافة الإيجاز. إنها عبرت عن العناد عند ظهور المعجزة بالنار العظيمة، و هذا التعبير فيه ما فيه من شدة التنفيذ و قوة التأثير ثم أن هذا التعبير قد أبرز لك هذا المعنى الفكري المجرد في صورة محسوسة ملموسة و لم يقف عند هذا الحد من التجسيم والتشخيص بل تعداه إلى التصيير و التحويل. فحوله على نار ملتهبة متأججة متوهجة بل تعداه إلى أعجب من هذا التصوير، و لا أروع و ألذ من هذا التعبير؟ إنه الإعجاز يلبس ثوب الكناية فتنحني له هامات البلغاء، و يثير في النفس أسمى آيات الإعجاب[3]

ب - قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[4]

في هذه الآية كنى القرآن الكريم عن الجماع بالسر. تأمل هذه الكناية و مدى ما فيها من اللطائف و الأنوار و الأسرار. تأمل هذه الكناية و مدى ما فيها من اللطائف و الأنوار و الأسرار. إن في الكناية بالسر عن الجماع من ألوان الأدب و التهذيب ما يعجز عن وصفه أساطين البيان، و فيها من جمال التعبير ما يسترق الأسماع و يهز العواطف و يحرك الأحاسيس و المشاعر. لقد ألبست الجماع الذي يتم في السر ثوب

(1) يُنْظَرْ:تفسير مقاتل 986/4.
(2) سورة البقرة الآية: 24.
(3) يُنْظَرْ: روح المعاني 98/1
(4) سورة البقرة الآية: 235.

السر فذهبت بسر الفصاحة و البيان. أبعد هذا يقال أن الكناية في القرآن يستطيع أن يحاكيها بنو الإنسان ؟ أبداً و الله إن بني الإنسان من المعجز بحيث لا يمكنهم فهم ما تنطوي عليه الكناية في القرآن من الأسرار.[1]

ومن الإعجاز اللغوي:براعته في تصريف القول، ومن ذلك ما يأتي: منها تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:

1- الإتيان بصريح مادة الأمر نحو قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [2].

2- والإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين ؛نحو ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [3]

3- والإخبار بكونه على الناس؛ نحو ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [4]

4- والإخبار عن المكلف بالمطلوب منه ؛ نحو ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ [5]

5- والإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره؛ نحو ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾ [6].

6- وطلب الفعل بصيغة فعل الأمر ؛ نحو ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[7] أو بلام الأمر ؛نحو ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ [8].

---

(1) يُنْظَرْ: روح المعاني 55/1.
(2) سورة النساء الآية: 58.
(3) سورة البقرة الآية: 183.
(4) سورة آل عمران الآية: 108.
(5) سورة البقرة الآية: 288.
(6) سورة آل عمران الآية: 97.
(7) سورة البقرة الآية: 238.
(8) سورة الحج الآية: 29.

7- والإخبار عن الفعل بأنه خير ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [1]

8- ووصف الفعل وصفاً عنوانياً بأنه بِر ؛ نحو ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [2]

[2]

9- ووصف الفعل بالفرضية؛ نحو ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ [3] التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة:من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على التردي الجماعي، أو المبالغة في التثاقل، أو الاستعصاء على الهدى[4]من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [5].

[5].

أصل الفعل (تداركوا) وقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فلما سكنت جئ بهمزة الوصل، والتشديد يوحي هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضاً قبل أن يتردوا فيها، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة. ويشبه هذا إيحاء التكرار في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾[6].

ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [7]، أيضاً ما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث أو الصفة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [8].

---

(1) سورة البقرة الآية: 220.
(2) سورة البقرة الآية: 189.
(3) سورة الأحزاب الآية: 50.
(4) يُنْظَرْ: مناهل العرفان الزرقاني4/229 232، نظم الدرر للبقاعي:16/563-564.
(5) -سورة الأعراف الآية: 38.
(6) سورة الشعراء الآية 94.
(7) سورة التوبة3 الآية 8.
(8) سورة فاطر الآية 37 .

فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم (تصبح طاء) ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في الفعل، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [1]، و(ضيزى) تعني: جائزة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى)[2] جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء ـ بماء في الضاد من تفخيم ـ إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه.قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[3] والصيب: النزول الذي له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لما أنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.[4]

ومن الإعجاز اللغوي التناسب بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة:

ومن التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [5]،حيث يوحي لفظ السلسبيل بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل-سلاسة)[6] من شركة في بعض الحروف، هذا في مقابل الإيحاء في جهة الضد للمعنى السابق، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [7]، حيث أن مادة (غسق) في القرآن الكريم منها الغسق، والغاسق والغساق ـ توحي أن القسط المشترك بين هذه المشتقات الدلالة على أمور كريهة، فالغسق:الظلمة،

(1) سورة النجم الآية 22.
(2) ضيزى: أي ناقصة،(يُنْظَرْ:العين 53/7).
(3) سورة البقرة الآية:19 .
(4) يُنْظَرْ: نظم الدرر للبقاعي:16/66-67.
(5) سورة الإنسان الآية:18 .
(6) سلسبيل:سلسلة لينة سائغة(يُنْظَرْ:غريب القرآن 217/1).
(7) سورة النبأ الآية: 25 .

والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغساق: شئ كريه لا يشرب[1]، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغوياً من إيحاء الغين والقاف هنا. ومثله في التفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾[3]، والضريع والضريع نبات شوكي.[4] وإيحاء لفظ (ضريع) في الطعام يفيد ذلاً يؤدي إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك يقابله في المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾[5]، ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[6].

(1) غسق :غسق الليل وظلمته(ينظر:جمهرة اللغة 93/1).
(2) سورة المطففين الآية:7 .
(3) سورة الغاشية الآية: 6 .
(4) ضريع: هو نبات بالحجاز يقال لرطبه (الشبرق)،(ينظر:التبيان في تفسير القرآن:459/1).
(5) سورة المطففين الآية :18 .
(6) سورة يوسف الآية :15.